

نقد الإضراب عن الطعام

رحمان النوضة



في المغرب، وخلال سنوات 2020، تَكَرَّرَتْ وَاَنْتَشَرَتْ ظَاهِرَةٌ
الْجُوعِ إِلَى «الإضراب عن الطعام» كَأَسْلُوبٍ لِلإِحْتِجَاجِ عَلَى الظُّلْمِ، أَوْ
كَوَسِيلَةٍ لِلْمَطَالِبَةِ بِحُقُوقِ مُعْتَصِبَةٍ. وَأَصْبَحَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُنَاضِلِينَ
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ «الإضراب عن الطعام» هُوَ أَسْلُوبٌ نِضَالِي عَادٍ، وَرَاقٍ،
وَفَعَّالٌ. وَهَذَا السُّلُوكُ يَشْكَلُ تَرَاجِعًا إِلَى الْوَرَاءِ فِي أَسَالِيبِ الْمَقَاوِمَةِ
وَالنِّضَالِ الثُّورِيِّ. فَهَلْ صَحِيحٌ أَنَّ النِّظَامَ السِّيَاسِيَّ الْإِسْتِبْدَادِي قَمَعَ
الشَّعْبَ، وَأَرْهَبَهُ، وَرَدَعَهُ، إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّ بَعْضَ الْمَوَاطِنِينَ لَمْ يَعُودُوا
يَتَصَوَّرُونَ مِنْ أَشْكَالِ الْمَقَاوِمَةِ سِوَى «الإضراب عن الطعام»؟

فَشَتَّانَ بَيْنَ مَرِحَلَةِ سِنَوَاتِ 1960 الَّتِي كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْمُنَاضِلِينَ
يُفَكِّرُونَ فِي إِحْتِمَالِ اسْتِعْمَالِ أَسْلُوبِ «حَرْبِ التَّحْرِيرِ الشَّعْبِيَّةِ الطَّوِيلَةِ
الْأَمَدِ»، وَفِتْرَةِ سِنَوَاتِ 2020 الْحَالِيَةِ الَّتِي يَمِيلُ فِيهَا بَعْضُ الْمُنَاضِلِينَ
إِلَى تَفْضِيلِ أَسْلُوبِ «الإضراب اللامحدود عن الطعام». وَلَوْ أَنَّ

«الإضراب عن الطعام» يَتَضَمَّنُ شَيْئاً مِنَ الْإِنْتِحَارِ الْبَطِيءِ. وفي سنوات 1970، كان نموذج المقاومة لدى نسبة هامة من شُبَّانِ الْعَالَمِ هُوَ «حرب التحرير الشعبية في فِتْنَام» لِهَزْمِ الْإِمْبِرِيَالِيَةِ وَالْبُرْجُوازِيَةِ الْكُمْبُرَادُورِيَةِ، بَيْنَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ نَمُودَجُ الْمَقَاوِمَةِ هُوَ «الهِجْرَةُ السَّرِيَّةُ» عِبْرَ الْبَحْرِ، أَوْ الْفِرَارُ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ، أَوْ السَّمَّاحِ فِي الْوَطَنِ، أَوْ الْبَقَاءِ الْإِضْطِرَّارِيِّ فِيهِ لِخَوْصِ «الإضراب عن الطعام». وَهَذَا تَخَلَّفَ فَطِيعٌ فِي النَّمَاذِجِ النِّضَالِيَةِ الْمَعْمُولِ بِهَا، وَفِي الطَّاقَاتِ الثَّوْرِيَةِ الْمُتَوَقِّرَةِ. فَظَاهِرَةٌ «الإضراب عن الطعام» هِيَ مَظْهَرٌ مِنْ بَيْنِ مَظَاهِرِ تَخَلُّفِنَا الْمُجْتَمَعِيِّ. وَمِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ نَحَاوِلَ جَمَاعِيًّا تَحْلِيلَ، وَنَقْدَ، وَتَجَاوُزَ، هَذِهِ الظَّاهِرَةَ الْمُجْتَمَعِيَّةَ السَّلْبِيَّةَ.

وَبِمُنَاسَبَةِ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ الْحَالِيَةِ، وَوُلُجُوءِ بَعْضِ الصَّحَافِيِّينَ الْمَعْتَقَلِينَ بِالْمَغْرِبِ إِلَى خَوْصِ إِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ، وَانْطِلَاقًا مِنْ خَوْفِ الْأَنْصَارِ عَلَى صِحَّةِ، وَعَلَى حَيَاةِ الصَّحْفِيِّ الْمَعْتَقَلِ سُولِيمَانَ الرَّيْسُونِيِّ، الَّذِي وَصَلَ إِضْرَابَهُ عَنِ الطَّعَامِ (حَسَبَ بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْمُنشُورَةِ) 46 يَوْمًا (بِتَارِيخِ 23 مَآي 2021)، دَعَا مُؤَخَّرًا بَعْضَ الْمُنَاضِلِينَ بَاقِي الْمَوَاطِنِينَ الدِّيمُوقْرَاطِيِّينَ إِلَى «أَنْ يَخُوضُوا، هُمْ بِدَوْرِهِمْ، نَوْعًا مِنَ الْإِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ، يَكُونُ تَضَامُنِيًّا، وَرَمْزِيًّا، وَجَمَاعِيًّا، وَدَائِرِيًّا (grève de la faim tournante, ou de relais). حَيْثُ يَتَنَاوَبُ الْمَوَاطِنُونَ الْمُضْرِبُونَ عَنِ الطَّعَامِ أَثْنَاءَ مُدَّةِ 24 سَاعَةٍ، فِي مَكَانٍ عُمُومِيٍّ مَفْتُوحٍ، أَمَامَ كَامِيرَاتِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، مِثْلًا عِبْرَ بَرْمَجِيَّةِ (application) "زُوم" (Zoom)، وَهُمْ يَحْمِلُونَ لَأَفْتَاتٍ تَحْمِلُ شَعَارَاتَ مَطْلَبِيَّةٍ، بِهَدَفِ التَّعْرِيفِ بِمِحْنَةِ الْمَعْتَقَلِينَ السِّيَاسِيِّينَ الْمُضْرِبِينَ عَنِ الطَّعَامِ، وَإِنْقَاذِ حَيَاتِهِمْ».

وَإِنْ كُنْتُ شَخْصِيًّا أَتَّفَقُ عَلَى أَنَّ حَيَاةَ كُلِّ مُضْرِبٍ عَنِ الطَّعَامِ قَدْ تُصْبِحُ بِسُرْعَةٍ فِي خَطَرٍ، وَأَتَّفَقُ عَلَى ضَرُورَةِ إِبْتِكَارِ وَخَوْصِ كُلِّ أَشْكَالِ النِّضَالِ الْمُلَاطِمَةِ لِلضَّغْطِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ مِنْ أَجْلِ إِطْلَاقِ سِرَاحِ الْمَعْتَقَلِينَ السِّيَاسِيِّينَ، سِوَاءَ كَانُوا مُضْرِبِينَ عَنِ الطَّعَامِ أَمْ لَا، أَوْ تَلْبِيَّةِ مَطَالِبِهِمُ الْعَادِلَةَ، فَإِنِّي أَرْفُضُ أَسْلُوبَ «الإضراب عن الطعام» بِشَكْلِ عَامٍّ. وَأَرْفُضُ اعْتِبَارَ «الإضراب عن الطعام» أَسْلُوبًا نِضَالِيًّا عَادِيًّا، أَوْ

مقبولاً. لماذا ؟

عادةً، حينما يُحسُّ المعتقلون السياسيون بالظلم وبالْجورِ المُسلَّطين عليهم، وحينما يشعرون أن كرامتهم الإنسانية تُنتهك، داخل زنازين المعتقل (سواءً كان هذا المُعتقلَ عَلَنِيًّا أم سِرِّيًّا)، يُفكّر بعض هؤلاء المعتقلين السياسيّين في إمكانية اللّجوءِ إلى خوض «إضراب عن الطعام» (رغم أن الطّعام في المعتقلات هو أصلاً شحيح، أو بخيل، وغير كافٍ، كمّا، وكَيْفًا). ومن بين مئات الآلاف من المواطنين المغاربة، النّاقِدين، والمُعاضين السياسيّين، الذي تعرّضوا للاعتقال السياسي، منذ "استقلال" المغرب في سنة 1956 إلى الآن في سنة 2021، فإن نسبة هامة منهم اضطُروا، خلال فترة أو أخرى، لِخَوْضِ «إضراب، أو إضرابات عن الطّعام». وأصبح اليومَ «الإضراب عن الطّعام» تقليدًا شائعًا، ومعمولًا به في المغرب. بل حتّى بعض المواطنين الأحرار (أي غير المعتقلين) أصبح بعضهم لا يرى من إمكانية للدّفاع عن حقوقهم سوى عبر «خَوْضِ إضراب عن الطّعام».

وقد سبق لي، أنا أيضًا، أن إنفَعَلْتُ، وأُضْطُررْتُ إلى خَوْضِ عِدَّةِ إضرابات عن الطّعام، في حالات خطيرة من الضعف الجسدي، وتحت التعذيب العنيف الهمجي، عندما كُنْتُ في مرحلة الاعتقال السريّ (أي في حالة "اختطاف"، أو "إخفاء قسري"، بين سنوات 1974 و 1976)، في "الكوميسيرية" القديمة لحي "المعاريف"، ثمّ في المُعتقل السري المُسمّى بـ "درب مولاى الشريف" بمدينة الدار البيضاء في المغرب. وقد تعرّضتُ داخل هذا المُعتقل السريّ لِتعذيب مباشر، وعنيف، ومُتواصل، خلال ثلاثة أشهر. وقد بلغ مُجمل احتجازي السريّ داخله مُدَّةَ 18 شهرًا. وحدث لي مرارًا أن كُنْتُ على وشك الموت. ونجوتُ بأعجوبة من موتٍ مُؤكّد. وحينما كان الجلّادون يُحسُّون أنني على وشك الموت بين أيديهم، كانوا ينقلونني إلى غرفة سريّة في الطابق الخامس من "مستشفى ابن سينا" في مدينة الرباط. وبعد أسبوع أو أسبوعين من العلاج الطيّب، والأكل الجيّد، كان البوليس السياسي السريّ يُرجعني إلى مُعتقل "درب مولاى الشريف"، ثمّ

يَسْتَمِرُّونَ فِي تَعْذِيبِي مِنْ جَدِيدٍ. وَكَرَّرُوا هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ قُرَابَةَ سَبْعَةِ مَرَّاتٍ. وفيما بعد، وَبَعْدَ التَّفَكِيرِ فِي تَجَارِبِ «الإِضْرَابَاتِ عَنِ الطَّعَامِ»، وَفِي مُخَلَّفَاتِهَا الْمُعَقَّدَةِ، الْمُتَنَوِّعَةِ، وَالْمُتَعَدِّدَةِ، عَلَى الدِّمَاغِ، وَعَلَى الْأَعْصَابِ، وَعَلَى بَاقِيِ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ، وَبَعْدَمَا لَاحَظْتُ أَنَّ الإِضْرَابَ عَنِ الطَّعَامِ قَدْ يَكُونُ كَارِثَةً عَلَى بَعْضِ الْمُنَاضِلِينَ ذَوِي الْبِنِيَّاتِ الْجِسْمِيَّةِ الضَّعِيفَةِ، وَبَعْدَمَا أَدْرَكْتُ أَنَّ أُسْلُوبَ «الإِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ» هُوَ أُسْلُوبٌ سَلْبِيٌّ، وَاسْتِسْلَامِيٌّ، وَمُتَخَلِّفٌ، قَرَّرْتُ تَغْيِيرَ رَأْيِي، وَأَصْبَحْتُ مُقْتَنِعًا أَنَّهُ مِنَ الْخَطَأِ السِّيَاسِيِّ أَنْ يَدْخُلَ أَيُّ مُنَاضِلٍ ثُورِيٍّ فِي أَيِّ إِضْرَابٍ عَنِ الطَّعَامِ، وَفِي أَيِّ ظَرْفٍ كَانَ.

وفيما يَخُصُّ الأَضْرَارَ الَّتِي تُحْدِثُهَا رَدَاءَةُ الطَّعَامِ فِي الْجِسْمِ، أَوْ الَّتِي يَتَسَبَّبُ فِيهَا «الإِضْرَابُ عَنِ الطَّعَامِ»، كَتَبْتُ مَثَلًا الصَّحْفِيَّ الْمُنَاضِلَ كَرِيسُ هِيدْجُ (Chris Hedges)، مُتَحَدِّثًا عَنِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي فَرَضَتْهَا إِسْرَائِيلُ عَلَى الْفِلَسْطِينِيِّينَ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ (بَيْنَ أَيْلُولِ 2023 وَ مَارَسِ 2024) : « يُنْتِجُ نَقْصُ الحَدِيدِ المُنتِجِ لِلْهِيمُوجْلُوبِينِ، وَهُوَ البُرُوتِينُ الْمَوْجُودُ فِي خَلَايَا الدَّمِ الحِمْرَاءِ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الأُوكْسِجِينَ مِنَ الرِّئَتَيْنِ إِلَى الْجِسْمِ، وَالمِيوْجْلُوبِينِ، وَهُوَ البُرُوتِينُ الَّذِي يُوفِّرُ الأُوكْسِجِينَ لِلْعَضَلَاتِ، إِلَى جَانِبِ نَقْصِ فِيتَامِينِ ب1، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الأَشْخَاصَ الْمَعْنِيَّينَ يُصَابُونَ بِفَقْرِ الدَّمِ. وَيُصْبِحُ الْجِسْمُ يَتَعَدَّى مِنْ نَفْسِهِ. وَتَخْتَفِي الأَنْسِجَةُ وَالْعَضَلَاتُ. يَصْبِحُ الْجِسْمُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى تَنْظِيمِ دَرَجَةِ حَرَارَتِهِ. وَتَتَعَرَّقَلِ الكَلْبِيُّ، أَوْ تَتَوَقَّفُ عَنِ الْعَمَلِ. وَيَنْهَارُ الْجِهَازُ الْمَنَاعِي (systeme immunitaire). وَتَتَخَفُّ أَوْ تَضْمُرُ الأَعْضَاءُ الحَيَوِيَّةُ، مِثْلُ الدِّمَاغِ، وَالْقَلْبِ، وَالرِّئَتَيْنِ، وَالمِيبِضَيْنِ، وَالخِصِيَّتَيْنِ. وَتَتَبَاطَأُ الدَّوْرَةُ الدَّمَوِيَّةُ. وَيَنْخَفِضُ حِجْمُ الدَّمِ. وَتُصْبِحُ الأَمْرَاضُ المُعْدِيَّةُ مِثْلُ التِّيفُؤَيْدِ، وَالسُّلِّ، وَالكُولِيرَا، أَوْبَةً تَقْتُلُ الكَثِيرَ مِنَ الأَشْخَاصِ... وَيَعْدُو تَرْكِيزُ الدَّهْنِ مُسْتَحِيلًا. وَيَسْتَسَلِّمُ الضَّحَايَا الهَزِيلُونَ لَانسِحَابِ الْعَقْلِ، وَالْعَوَاطِفِ، وَاللامْبَالَاةِ. وَيُصْبِحُ مِنَ الصَّعْبِ لِمَسْهُمِهِمْ، أَوْ تَحْرِيكِهِمْ. وَتَضْعُفُ عَضَلَةُ الْقَلْبِ. وَحَتَّى فِي حَالَةِ الرَّاحَةِ، يَكُونُ ضَّحَايَا الْمَجَاعَةِ فِي حَالَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ قُصُورِ الْقَلْبِ (insuffisance cardiaque). وَلَا تُشْفَى الجُرُوحُ. وَحَتَّى عِنْدَ الشَّبَابِ،

تضعف الرؤية بسبب إعتام عدسة العين. وفي نهاية المطاف، يتوقف القلب، الذي تعصف به التشنجات (convulsions) والهلوسة (hallucinations). يمكن أن تستمر هذه العملية لمدة تصل إلى 40 يوماً للبالغين. ويموت الأطفال والمسنون والمرضى بسرعة أكبر»⁽¹⁾.

قد يقول قائل: إذا كان «الإضراب عن الطعام» مُضِرّاً، أو مَرْفُوضاً، فما هي الأساليب النضالية البديلة؟ لكن دَوْر هذا المقال، هو توضيح أن أسلوب «الإضراب عن الطعام»، هو أسلوب نضالي مُتَخَلِّف، ومرفوض. ولا يقدر هذا المقال على إقترح أساليب نضالية بديلة عن الإضراب عن الطعام. لأن اقترح أي أسلوب نضال بديل يتوقّف على تحديد المَطْلَب، والمكان، والزّمان، وتَفَاصيل الوَضْعِيَّة المَلْمُوسَة لكل شخص أو مجموعة. وإذا لم يقدر شخص أو مجموعة على تصوّر أساليب نضالية بديلة (مُخالفة للإضراب عن الطعام)، فهذا القُصُور في الابتكار، لا يُثَبِّتُ أن هذه الأساليب النضالية البديلة غير موجودة، بشكل عام، أو مُطلق.

وقد يقول قائل: «كنا مجموعة صغيرة من المعتقلين السياسيين في السّجن، ولتحقيق المَطْلَب الفلاني (مثل فصل المعتقلين السياسيين عن معتقلي الحق العام)، خُصْنَا إضراباً عن الطعام». لكن، ما الفائدة من خوض إضراب عن الطعام، قد يدوم 30 أو 45 يوماً، إذا كان هؤلاء المعتقلين السياسيين سيجدون أنفسهم، بعد تحقيق مطالبهم، مُصابين بَعَاهَات جِسْمَانِيَّة، أو بِأَضْرَارٍ غير مَحْسُوسَة، في بعض أعضاء أجسامهم، مثل الكلي، أو المَعِدَّة، أو العَيْنَيْن، أو الجهاز العصبي، أو الدِمَاع، إلى آخره؟ إذا كان ثمن تحقيق مطلب مُعَيَّن، بواسطة الإضراب عن الطعام، هو هلاك صِحة المُطالبين بهذا المطلب، فأسلوب الإضراب عن الطعام مرفوض.

ولا يحقّ لأيّ مناضل ثوري أن يستسلمَ فَيَقْبَلَ إضعاف نفسه. لأن المطلوب من المناضل الثوري، ليس هو إهلاك نفسه بنفسه. وإنما المطلوب منه هو أن يُقاوم، وأن يُبادر، وأن يُكافح، وأن

يَبْتَكِرُ أُسَالِيبَ الْمُقَاوِمَةِ الْمَلَائِمَةَ، وَذَلِكَ حَسَبَ الْإِمْكَانَاتِ الْمَتَاحَةِ لَهُ فِي كُلِّ فِتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ. صَاحِبٌ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُنَاضِلِ الثَّوْرِيِّ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا مُسْتَعِدًّا لِلتَّضْحِيَةِ. لَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي، وَلَا يُبَرِّرُ، أَنْ يَقْبَلَ الْمُنَاضِلُ الثَّوْرِيُّ التَّضْحِيَةَ بِنَفْسِهِ لِاتِّفَهِ الْأَسْبَابِ، وَلَوْ كَانَ الظَّرْفُ ثَانَوِيًّا. بَلْ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْمُنَاضِلِ الثَّوْرِيِّ هُوَ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى أَحْسَنِ صِحَّةٍ مُمَكِنَةٍ، لِكَيْ يَسْتَمِرَّ فِي كِفَاحِهِ الثَّوْرِيِّ، وَلِكَيْ يَسْتَعِدَّ لِلْمُنَاسَبَاتِ الْهَامَّةِ، وَخِلَالَ أَطْوَلِ عُمُرٍ نِضَالِيٍّ مُمَكِنٍ.

وَلَا يُسْمَحُ لِلْمُنَاضِلِ الثَّوْرِيِّ بِأَنْ يَقْلُقَ، أَوْ يَيَّاسَ، أَوْ يَنْفَعِلَ، أَوْ يَتَسَرَّعَ، فَيَقَرَّرَ فَجْأَةً الدُّخُولَ فِي «إِنْتِحَارِ بَطِيٍّ»، عَلَى شَكْلِ «إِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ»، وَلَوْ تَعَرَّضَ لِأَبْشَعِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، أَوْ الْإِهَانَةِ، أَوْ التَّعْذِيبِ، أَوْ التَّنْكِيلِ. وَلَا يَقْبَلُ مِنْ هَذَا الْمُنَاضِلِ الثَّوْرِيِّ أَنْ يُبَرِّرَ قَرَارَ خَوْضِ الْإِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ بِعَدَمِ تَوْفُّرِهِ عَلَى آيَةِ إِمْكَانِيَّةٍ أُخْرَى لِلْمُقَاوِمَةِ غَيْرِ «الْإِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ».

وَلَا تَرْضَى بِأَنْ يُصْبِحَ شَعْبُنَا ضَعِيفًا، أَوْ مُتَخَلِّفًا، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى مُقَاوِمَةِ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ الْاِسْتِبْدَادِيِّ الْقَائِمِ سِوَى عِبَرِ «خَوْضِ الْإِضْرَابَاتِ عَنِ الطَّعَامِ». لِأَنَّ أُسَالِيبَ الْمُقَاوِمَةِ الْمُمَكِنَةَ لَا تَنْحَصِرُ فَقَطْ فِي أُسْلُوبِ «الْإِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ»، الَّذِي يَبْقَى سَلْبِيًّا (passif)، وَمَحْفُوفًا بِمَخَاطِرٍ وَأَضْرَارٍ غَيْرِ مُبَرَّرَةٍ. بَيْنَمَا تَبْقَى أُسَالِيبُ الْمُقَاوِمَةِ مُتَنَوِّعَةً وَمُتَعَدِّدَةً، بِشَرَطِ أَنْ نُفَكِّرَ عَمِيقًا فِي إِبْتِكَارِهَا، وَتَطْوِيرِهَا، وَمَلَاءَمَتِهَا، وَأَنْ نُبَدِعَ فِي تَفَاصِيلِ تَنْفِيزِهَا بِعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ.

يُظَنُّ أحيانًا بَعْضَ الْمُعْتَقِلِينَ السِّيَاسِيِّينَ الْمَقْهُورِينَ، وَالْمَعزُولِينَ دَاخِلَ مَرَاكِزِ الْاِعْتِقَالِ، بَعِيدًا عَنِ بَقِيَّةِ الْمُجْتَمَعِ، أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا فِي خَوْضِ «إِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ»، فَإِنَّ «الرَّأْيَ الْعَامَ الْوَطْنِيَّ وَالِدَوْلِيَّ سَيَعْلَمُ فَوْرًا خَيْرَ إِضْرَابِهِمْ عَنِ الطَّعَامِ، وَسَيَتَعَاطَفُ فَوْرًا، وَتِلْقَائِيًّا مَعَهُمْ». وَيُظَنُّ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَقِلِينَ السِّيَاسِيِّينَ أَنَّ «الرَّأْيَ الْعَامَ سَيُشَارِكُ فِي الضُّغْطِ عَلَى النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ الْقَائِمِ لِإِجْبَارِهِ عَلَى احْتِرَامِ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ». وَغَالِبًا مَا يَبْقَى هَذَا التَّصَوُّرُ سَادِجًا، أَوْ بَعِيدًا عَنِ الْوَاقِعِ، وَلَا

ينجح إلا نادراً. لأن ما يظنه بعض هؤلاء المعتقلين السياسيين المعزولين شيء، وما هو قائم في الواقع الحي شيء مخالف. ولأن عامة المواطنين تظل مُشغلة بشؤونها ومشاكلها اليومية الخاصة. ولا يُبالي الكثير من المواطنين بما يحدث للمعتقلين السياسيين، ولو أُضربوا عن الطعام، ولو دام هذا الإضراب عن الطعام قرابة 40 يوماً، وحتى لو مات بعض المعتقلين السياسيين خلال هذا الإضراب عن الطعام. وأحياناً لا تجد عائلات المعتقلين السياسيين حتى الجرائد، أو المجلات، أو الإذاعات، أو التلفزيونات، أو المواقع الإلكترونية، التي تقبل نشر خبر دخول أبنائهم أو أزواجهم المعتقلين السياسيين في «إضراب لا محدود عن الطعام».

ويكتسي الصراع الطبقي الدائر في المجتمع قساوة حادة، إلى درجة أن مُجمل الأفكار والسلوكيات التي تكون ساذجة، أو مثالية، أو طوباوية، تفسل بلا شفقة ولا رحمة.

ويظهر المناضل المُضرب عن الطعام كأنه يقول لِعَدُوّه الذي يعتقله، أو يَعدِّبه: «بِمَا أَنْكَ تَظْلِمُنِي، وَتَهْلِكُنِي، فَأَنَا أَيْضًا سَاهَلِكْ نَفْسِي، بِالْإِضْرَابِ عَنِ الطَّعَامِ، وَلَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ إِهْلَاكِ نَفْسِي، إِلَّا إِذَا تَوَقَّفَتَ أَنْتَ عَنِ هَلَاكِي، وَلَوْ كَانَ مَصِيرِي هُوَ الْمَوْتُ الْمُؤَكَّد!» لكن الجلّادين لا يبألون بسلامة أعدائهم المُعارضين السياسيين والثوريين. بل يتمنى خدام النظام السياسي القائم أن يُقدّم المعتقلون السياسيون على إهلاك أنفسهم بأنفسهم.

وبعدما يدوم الإضراب عن الطعام أياماً وأسابيع، يمكن أن تتعرّض بعض أعضاء جسم المناضل المُضرب عن الطعام (مثل الأعصاب، والدماغ، والعينين، الخ) إلى أضرار فادحة، ودائمة. أمّا المُضربون عن الطعام الذين يُعانون أصلاً من أمراض مُزمنة (مثل أمراض القلب، أو الكبد، أو الضغط الدموي، أو السكري، أو التعفّنات الممكنة، الخ)، فمن الممكن أن تتآزم أوضاعهم الصحية بسرعة، وأن يموتوا بشكل مُفاجئ، أو أن يُصابوا بعاهاث دائمة.

وهكذا، فإن النظام السياسي الاستبدادي القائم، يُريد بالضبط من

أعداء المعتقلين السياسيين أن يُضربوا عن الطعام، وأن يهلكوا أنفسهم بأنفسهم، دون أن يظهر هذا النظام السياسي مسؤولاً مباشراً عن هلاك هؤلاء المعتقلين السياسيين.

وقال بعض المضربين عن الطعام: «نريد تناول السكر والماء أثناء إضرابنا عن الطعام». وَرَدَّ عَلَيْهِم آخرون قائلين: «نَتَّفِقُ معكم على أن الماء ضروري للحياة، ولا يُمكن العيش بدون ماء. والامتناع عن تناول الماء يُؤدِّي إلى الموت بعد قُرَابَة ثلاثة أيام. أمَّا السكر، ففيه خِلاف. والإضراب عن الطعام، هو الامتناع عن تناول أيِّ طعام، بما فيه السكر». وَرَدَّ عَلَيْهِم الأَوْلُون: «نحن نريد أن نُضربَ عن الطعام، لكننا لا نَقدر على خوض الإضراب عن الطعام بدون الاستعانة بـ 4 أو 6 حَبَّاتٍ مِنَ السُّكَّر». وأجابهم المُخَالِفُونَ: «إن كنتم لا تستطيعون أن تُضربوا عن الطعام بدون تناول السكر، فلا تُضربوا بتاتاً عن الطعام».

والمطلوب من المناضل الثوري المعتقل هو الصُّمود، والمقاومة، والبقاء على قيد الحياة، وبأحسن صحَّة ممكنة، لكي يُواصل كِفاحه الثوري حينما سيُطلق سراحه، خلال أطول عُمرٍ نضالي مُمكن. وهذا لا يعني أننا نخاف من الموت، أو أننا نرفض التضحية بأنفسنا، ولكننا نرفض أن نَموت لأسباب تافهة، أو في ظُروف عَرَضِيَّة، أو في صِدَامَات ثَانَوِيَّة، أو غير جَوْهَرِيَّة.

ويمكن أن نقول، عبر اقتباس للكاتب الصيني سَانْ اِتْزُو (Sun Tzu)، أنه في معارك الصراع الطبقي التي تكون جوهرية، الأشخاص الذين يَخْشَوْنَ المَوْتَ، ينهزمون ويموتون، بينما الأشخاص الذين يقبلون الاستشهاد ينتصرون ويعيشون. وبلزُم أن نُطبِّق هذا التصور على المعارك الجوهرية، ولا يُعقل أن نُطبِّقه حتى في معارك عَرَضِيَّة، أو ثَانَوِيَّة، أو مُبْتَدَلَة. وَيُدرِكُ كلَّ عاقلٍ اسْتِحَالَة تحصيل الحقوق الأساسية بدون كِفَاح، وخَسَائِر، وتضحيات. لكن من الأحسن أن لا نَنجِرَ إلى صِدَامَاتٍ لم نَنهَيَّا جَيِّداً لِمَكَانها، وَلِزَمَانها، وَلِظُروفها.

أما النظام السياسي القائم، فإنه يتصرَّف بشكل "ماكيافيلي" (machievélique)، أو إِنْتِهَازِي، أو مُخَادِع. ويتمنَّى النظام السياسي

للمعتقلين السياسيين أن يَقلَقُوا، وَأَنْ يَتَوَثَّرُوا، وَأَنْ يَهْلِكُوا أَنفُسَهُمْ
بأنفسهم، مثلاً عبر الدُخُول في إضراب عن الطعام، وأن يظهر لِلْجَمِيعِ
أن هؤلاء المعتقلين السياسيين هُمُ الْمَسْئُولُونَ عن هَلَاكِ أَنفُسِهِمْ.

**أما المنطق الثوري السليم، فإنه يُوجِبُ على المعتقل السياسي
أن يتلافَى القَلَقَ، أو الإِنْفِعَالَ، أو التَسْرِعَ، أو اليَأْسَ. كما يتوجب
على المعتقل السياسي أن يتفادى أسلوب الإضراب عن الطعام،
وأن يتجرأ على المقاومة، وعلى النضال، وعلى الصُّمُودِ، وأن يفكر
عميقاً في ابتكار وتنفيذ أساليب نضالية أخرى للمقاومة، ولو
بأشكال جديدة، أو مُبدَعة، أو سرّية، أو مُتواضعة، أو غير مباشرة،
أو طويلة النفس، إلى آخره. ويُستحسن أن تكون هذه الأساليب
النضالية تدريجية، أو مُتصاعدة، مع محاولة التَنسيقِ، مع قِوَى
تَقَدُّمِيَّة مُساندة، سواءً كانت في داخل البلاد أم في خارجها، إن
كان ذلك مُمكنًا. وإن لم يكن ذلك مُمكنًا، فالحلُّ هو الصُّمُودُ،
والمقاومة، والجُرأة على النضال، وتَحَمُّلُ الإِهَانَاتِ المُوقَّتة، والعمل
الدَّوَّابِ مِنْ أَجْلِ تَهْيِئِةِ فُرْصٍ أُخْرَى، قَدْ تَكُونُ مُوَاتِيَةً أَكْثَرَ لِإِنْجَاحِ
النضال الثوري الجماهيري المُشترك.**

رحمان النوضة

(حُرِّرَ فِي 25 مَآي 2021).

التعليقات على الفيسبوك

بين يومي 7 و 9 يونيو 2021 :

عدد الإعجابات: 40. عدد التعليقات : 9. عدد نقاسمات

المقال : 22.

Bahnass Mustapha : الإضراب المفتوح عن كشكل من أشكال
النضال ليس من إبداع المغاربة بل قام به كثير من المعتقلين
السياسيين عبر العالم ضمنهم مناضلين إيرلندا والمعتقلين

الفلسطينيين في سجون الاحتلال ومنهم من استشهد. يلجأ المعتقلون السياسيون في المغرب منذ زمان إلى الإضراب عن الطعام والكثير منهم حققوا مطالبهم المشروعة البسيطة بعد توضيحات جسام . كـمعتقل سابق بمجرد أن ولجان السجن مع بعض الرفاق ووضعا مع سجناء الحق العام لم نفكر كثيرا بالشكل النضالي المناسب أدخلنا مباشرة في الإضراب عن الطعام حيث أننا لم نكن نتصور بقاءنا مع سجناء الحق العام. هل هناك أشكال أخرى ممكنة لا أظن باستثناء ربما الاصطدام المباشر مع الحراس والمعركة غير متكافئة . الإضراب عن الطعام شكل نضالي حيث الخيارات منعدمة والدعم السياسي كذلك.

Abderrahman Nouda : رد رحمان النوضة على Mustapha Bahnass : كتب السيد المحترم مصطفى بحناس متكلِّمًا عن تجربته : «لم نكن نتصور بقاءنا مع سجناء الحق العام. (فدخلنا في إضراب عن الطعام). هل هناك أشكال أخرى ممكنة، لا أظن». (1) ما الفائدة من خوضك إضرابًا عن الطعام، للمطالبة بفصلك عن سجناء الحق العام، وحينما يتحقَّق مطلبك مثلاً بعد 30 أو 45 يوماً من الإضراب عن الطعام، وتجد نفسك مفصولاً عن سجناء الحق العام، لكن مُصَابًا في نفس الوقت ببعض العاهات، في العينين، أو في الجهاز العصبي، أو بأضرار غير محسوسة في الدماغ، أو غيرها؟ (2) إذا كنتَ لا تعرف ابتكار أساليب أخرى للمقاومة، فهذا لا يثبت أنها غير موجودة، ولا يمكن ابتكارها. (3) من الخطأ الاعتقاد أن الإضراب عن الطعام هو الأسلوب الوحيد الممكن. مثلاً فيما يخص مطلب فصل المعتقلين السياسيين عن معتقلي الحق العام، وُجِدت كثير من مجموعات المعتقلين السياسيين الذين حقَّقوا هذا المطلب، بمجرد سلسلة من الضغوط المتوالية على إدارة السجن، وليس بالإضراب عن الطعام.

Mounir Zalim : تتبعت لعلي أجد في المقال أساليب نضالية أخرى يمكن أن يلجأ إليها المعتقل لكنني لم اعثر على ذلك باستثناء https://www.listeselectorales.ma/Formulaire_Inscription.aspx

الصمود والتحمل. بالمقابل اريد ان اضيف نقطة بسيطة تتمثل في أن الشخص حين يتم اعتقاله سياسيا فذلك برهان على هزيمته السياسية أو هزيمة التنظيم الذي ينتمي إليه. هنا يجب قياس موازين القوى بدل الشخص او المجموعة المعتقلة . قد يكون الإضراب عن الطعام في مرحلة الهجوم الاستراتيجي النقطة التي ستفيض الكأس وتنطلق الشرارة. أما في مرحلة التوازن الطبقي حين يحس الطرف المعتقل أن الأمور قد تتفلت بين يديه بسبب موت احد المضربين او شيء من هذا القبيل فإنه يلجأ على الفور الى إيجاد حلول ممكنة لتوقيف ليس هلاك المضربين ولكن ان يفيض الكأس عليه. أما في مرحلة النكوص التاريخي كما هو الحال عليه اليوم، فالعدو الطبقي لا يكتثر بأي شيء لأنه على علم باختلال موازين القوى لصالحه. فالمنظمات الحقوقية العالمية بدورها تبلع لسانها الذي لا يحمرّ إلا دفاعا عن مصالح البلدان التي تتواجد داخلها أو لتنبية الطبقات التي تحميها تلك البلدان. سأكتفي بمثال واحد هنا بصدد موازين القوى: لاشك انك تتبعت مشهد مقتل جورج فلويد في امريكا. فقد كان سببا في إخراج الملايين من الأمريكيين إلى الشارع وكان له تأثير مباشر على قطف بايدن لفاكهة ذلك النضال في الانتخابات امام غياب تنظيم ثوري قابل لامتناس غضب الملايين . الامر شبيه بالاضراب عن الطعام الكل حسب موازين القوى ودرجة صعود او نكوص النضال الطبقي.

Abderrahman Nouda : ردّ رحمان النوضة على Mounir Zalim :

1) كتب السيد المحترم مونير زاليم : «حين يتم اعتقال الشخص سياسيا فذلك برهان على هزيمته السياسية أو هزيمة التنظيم الذي ينتمي إليه». هذا التأويل مُفرط في التبسيط والتعميم، وهو غير معقول، بل مرفوض مطلقاً.

2) كتب مونير زاليم : «قد يكون الإضراب عن الطعام في مرحلة الهجوم الاستراتيجي النقطة التي ستفيض الكأس وتنطلق الشرارة». وهذا كلام خاطئ. حيث لا تُوجد أية علاقة منطقية بين «الإضراب عن الطعام» و «الهجوم الاستراتيجي». هذا خلط بين مواضيع بعيدة عن

بعضها البعض.

3) كتب السيد مونير زالميم : «تتبع لعلني أجد في المقال أساليب نضالية أخرى يمكن أن يلجأ إليها المعتقل لكنني لم اعثر على ذلك». هدف المقال هو توضيح أن أسلوب الإضراب عن الطعام، هو أسلوب نضالي مُتَخَلِّف، وغير سديد. ولإثبات ذلك، لا يُشترط في المقال أن يُعطي أساليب نضالية بديلة، لأن هذه الأساليب النضالية البديلة ترتبط بالمكان، وبالزمان، وببِتَافِصِيلِ الوضعية الملموسة لكل شخص أو مجموعة. وإذا لم يقدر شخص أو مجموعة على ابتكار أساليب نضالية بديلة، فهذا القُصُور في الإبداع لا يُثبِتُ أن هذه الأساليب النضالية البديلة غير موجودة بشكل عام ومطلق.

4) تكلم مونير زالميم عن «مقتل جورج فلويد» في الولايات المتحدة الأمريكية. بينما لا توجد أية علاقة منطقية بين «مقتل جورج فلويد» وموضوع «الإضراب عن الطعام».

Majid Erraoui : En lisant votre article je pense a la mort précoce des militants ...ces dernières années ou ces mois...soit par crise cardiaque ou de cancer...ou ceux qui vivent avec des maladies a vie... la cause: c'est la facon de gérer les actions de resister et d'affronter la repression ...les militants doivent penser a la santé de leurs corps et leurs forces physiques ... j'aime tout militant pensant a changer le monde ...pense parallèlement a son etat d'esprit ...pour ...donner plus....et ainsi de vivre plus

Aziz Taimour : أتفق مع الرفيق عبد الرحمان نودا الاضرابات عن الطعام الجماعية أو الفردية بسبب ظروف الاعتقال السياسي أو القمع الشرس للنظم القمعية الفاسدة في المنطقة العربية , ضد تمديد الاعتقال الاداري للأسير, الا أن بعد يومين تختفي ألام الجوع , وبعد أسبوعين يدخل الجسم في أزمة مثل الدوار الشديد ونقص الوزن بسبب نقص الفيتامين1 والبروتينات والاملاح المعدنية الأساسية...

Mrsoul Hassan : جواب على نقدك للاضراب عن الطعام.

إذا استعرضنا الفضاغات التي يخلفها الإضراب عن الطعام، من فقدان للأرواح و القدرات الجسمانية و الفكرية، و ما يتبع ذلك من

مأسي إنسانية و اجتماعية... لا يسعنا إلا ان نتمنى صادقين أن يتجنب كل أحد اللجوء لهذا الفعل، مضطرا كان أو باختياره. وحدهم الدين يقتاتون من الدماء و يتاجرون بالشهداء، وحدهم هؤلاء لن يحسوا بما دفعك لأن تبوح برأيك هذا، لا مكثرتا للومة لائم. وكلما رأيت أحدهم، و أنا أعرف درجة تشبته بحياته، يتفانى في إحياء ذكرى من داب في التراب، أتذكر أغنية لجورج براسنس يقول فيها :

.Ceux qui prêchent le martyre restent longtemps sur terre

إلا أنه رغم تفهمي لمشاعرك النبيلة، وجب علي أن أبدي بعض الملاحظات :

- أن الإضراب ، ليس كما يمكن أن نستنتج من أول وهلة فعل سلبي و تنازل عن الحق في الحياة، بل بالعكس يمكن أن يكون تعبيرا على أقصى حدود التشبث بالوجود و الحرية و الكرامة و الأمل. فهو ليس فعل انتحاري و موت بطيء سلبي كما تدعي. و هذا التناقض الظاهر بين الهدف النهائي و الخطوات الآتية للفرد أو الجماعة ظاهرة إنسانية عامة لا تنحصر في مجال النضال. و سنكون سدج أو على الأقل مجانبين للصواب إذا أردنا فهمها بالاكْتفاء بما هو صوري ميكانيكي.

- إن جزمك بأنه "من الخطأ السياسي أن يدخل أيّ مناضل ثوري في أي إضراب عن الطعام، وفي أيّ ظرف كان" يعني إدانة قاسية و صريحة، لا مشروطة و مطلقة لأيّ لجوء لهذا الفعل، و ورقة صفراء أو حتى حمراء ترفع في وجه كل من اضطرت ظروف اعتقاله لخوض إضراب عن الطعام، لتقصيه من حلبة الثوريين.

- و كأنني بك تسن فضلا من فصول قانون جنائي غريب خاص بالثوريين حينما تكتب :

"لا يُسمح للمناضل الثوري بأن يَقْلَقَ، أو يَيَّأَسَ، أو يَنْفَعِلَ، أو يَتَسَرَّعَ، فَيَقَرَّرَ فَجَاءَةَ الدُّخُولَ في «إِنْتِحَارِ بَطِيٍّ»، على شكل «إضراب عن الطعام»، وَلَوْ تَعَرَّضَ لِأَبْشَعِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، أو الإِهَانَةِ، أو التعذيب، أو التَّنْكِيلِ. وَلَا يُقْبَلُ من هذا المناضل الثوري أن يُبَرِّرَ قرار خوض الإضراب عن الطعام بَعْدَ تَوَقُّرِهِ على آيَّةِ إمكانيّةٍ أُخْرَى لِلْمُقَاوَمَةِ غير

«الإضراب عن الطعام».

- هذا الأسلوب في التفكير يذكرني بأناس اعتبروا من لم يستطع تحمل وحشية الجلادين مرتدا و خائنا و ضعيفا... و نبذوه من حضيرة الثوريين. و لا شيء يثبت أنهم كانوا أكثر صمود منه.

- فأمام الألم، تعديبا كان أو سجنا أو إهانة... لا يوجد أبطال. و ضعف الأفراد يستعمل حجابا لستر ضعف أضع. و المعتقل قد يتوقف بالضرورة في لحظة ما على أن يكون ثوريا أو رجعيا أو شيوعيا أو إسلاميا ... و يبقى فقط إنسانا محكوما بغريزة التشبث بالبقاء. هذه الغريزة نفسها التي تدفعه إلى ارتكاب ما يظهر أنه ضدها. فلا يحق لنا باسم الثورة أو غيرها أن ندينه بهذا الشكل.

- نعتك للمضرب عن الطعام بالضعف و السلبية و البحث عن هلاك ذاته... كل هذا قدف و تبخيس و استبلاذ يحمل ضمنا تحاملا عليه و دعوة لنبد التضامن معه باعتباره مسؤولا عن واقعه، و وجب عليه أن يتحمل وحده تبعات ما سيلقاه.

- هنا ستكون أقل مستوى من الأنظمة التي ناضل ضدها، و التي فرضت عليها مشروعية الإضراب عن الطعام كوسيلة للدفاع عن النفس. و لم تعد تناقش هذه المشروعية فحسب، بل حاولت تقنين التعامل معها.

يكفي ان نذكر هنا مثلا بإعلان مالطا عام 1991 و إعلان طوكيو عام 1975...

- لا يمكن أن نقدم لمناضلين عظام خاضوا و يخوضون أطول الإضرابات عن الطعام في مختلف البلدان دروسا في الثورية. و لا أظن أنهم سلبيون و متخلفون و قلقون...

- إنك تخلط بين أمرين مختلفين : مشروعية الإضراب كوسيلة نضالية، و نجاعة هذه الوسيلة. فلا يمكن نفي الأولى بضعف الثانية. و كل سلاح له قوته و ضعفه و تقنيات استعماله.

- رغم أنني معجب بصدقك و إقدامك مند عقود، فلا أظن أنك ستمارس رأيك هذا إذا كنت مجددا، لا شئت الأقدار، بين فكي الغول

من جديد. و أحسب ما عبرت عنه ناتج عن صدق و سموا إنساني حركه
ما نحس به جميعا جراء ما يعانیه حاليا مضربون عن الطعام.
لدى لا يسعني إلا أن أضم صوتي لصوتك لمناشدة سليمان
الريسوني لتوقيف إضرابه. لا لأن الإضراب عن الطعام مدان بشكل
مطلق، بل لأنني لا أراه، في حالته الخاصة، سيحقق أكثر من النجاحات
التي وصل إليها.

رحمان النوضة يرّد على مرسل حسن (Mrsoul Hassan) : يظهر
من تعليقك كأنك تُريد أن تعارض جذرياً رأي النوضة حول الإضراب
عن الطعام. لكن كلامك بقي غامضاً، ومتناقضاً (تُدافع عن الإضراب
عن الطعام، وتنصح سليمان الريسوني بتوقيف هذا الإضراب عن
الطعام). ورغم طول تعليقك، فإنك لم تثبت أيّ شيئاً. إن كنت تعتبر
أن الاضراب عن الطعام هو أسلوب نضالي عادي، ويمكن استعماله
كلما أحسّ الشخص المعني بالظلم، أو القهر، فقلها صراحة. وإن كنت
تعتقد أنه لا يحقّ اللجوء إلى الإضراب عن الطعام إلا في ظروف خاصّة
مُحدّدة بدقّة، فأوضح ما هي هذه الظروف. وإن كنت ضد الإضراب عن
الطعام، فقلها بوضوح. أما الكلام الغامض، أو المتناقض، فلا يُفيد.

